دور المرجعية الدينية في تأصيل الهوية الوطنية العراقية ١٩١٤ - ٢٠١٤

ا.م.د. علي جاسم محمد التميمي
الجامعة المستنصرية
dr.alitop8085@gmail.com

ا.م. د. سعد علي حسين التميمي
الجامعة المستنصرية
drsaadali76@yahoo.com

الملخص:-

ان للقيادة الروحية للشيعة والمتمثلة بالحوزة العلمية الشريفة وخاصة في النجف الاشرف دور بارز في ادارة الشؤون السياسية والاجتماعية للمجتمع من خلال مواقفها وفتواها التي تخص فيها المجتمع الاسلامي بصورة عامة وبعض الاحيان مايتعلق بالمجتمع العراقي على وجه الخصوص لتعدل مساراته الاجتماعية والسياسية عند انحرافها وعندما يقتضي الامر تدخلها،فانها تغيير المسار وتصنع التاريخ من جديد كما فعلت الحوزة الحلمية في عشرينات القرن الماضي وقيادتها لثورة العشرين التي يمثلها البعض بالثورة الفرنسية الاصلاحية والثورة الجزائرية وهي من اهم الثورات في المنطقة،كانت بقيادة المرجع الشيخ محمد تقي الشيرازي (قدس سره) عام ١٩٢٠ والتي كان لها صداها في الساحة الاقليمية والدولية من خلال حكمت القيادة ووعي الجماهير ولم تتكرر الا بفتوى الجهاد الكفائي للسيد السيستاني (دام ظله) عندما اجتاحت الجماعات الارهابية العراق عام ٢٠١٤ ولزم الامر تدخل الحوزة العلمية لانقاذ العراق ولتوعية الامة بالخطر المحدق وتغيير البوصلة وافشال مخططات الاعداء.

لم يكن في العراق ابان قيام ثورة العشرين حكم وطني ملكي او جمهوري او اي شكل من اشكال الحكومات الوطنية اذ كان العراق يرزح تحت مظلت الاحتلال العثماني وعندما دخلت القوات الانكليزية للعراق ارادت اخراج القوات العثمانية وترسيخ

الانتداب البريطاني على العراق واحتلاله، لذا اقتضت الضرورة تدخل الحوزة العلمية لقيادة المرحلة الجديدة التي خلت من القيادة واعلان الثورة العراقية ضد الانكليز والتي كان الهدف الاساسي منها هو الحصول على استقلال العراق وتأسيس حكم وطني برئاسة امير او رئيس عراقي عربي مسلم والتخلص من كل انواع الاحتلال سواء العثماني او الانكليزي اذ كانت قيادة الثورة بيد رجال الدين اللذين نشروا فكرة الجهاد وساهموا في الدعوة الى تبيان اهدافها من استقلال العراق وتحريره وفعلا تشكلت جمعية دينية اسلامية في كربلاء والنجف وغيرها لمناصرة الثورة والدعوة لها ولاهدافها،فكما كانت هي لاتزال الحوزة العلمية لها الدور المحوري في حركة التحرير وترسيخ البعد الوطني للعراق.

قد افرز ظهور الدولة الوطنية في المجال الاسلامي العديد من المفاهيم التي تباينت مواقف العلماء منها في مختلف التيارات وتفاعلت الشيعة مع هذه التطورات وتصدت للدفاع عن الهوية الوطنية للفرد العراقي وتأكيد الانتماء للوطن ودور الشباب الشيعي في الحفاظ على الهوية الوطنية والدفاع عنها وهذا ما اثبتته التجارب على مر التاريخ من ثورة العشرين الى الانتفاضة ضد الارهاب وخاصة في العام ٢٠١٤ وما تناولته فتوى الجهاد الكفائي للدفاع عن العراق وارضه دون النظر الى الهويات الفرعية والمناطقية للجماعات وانما كان العراق فقط في جهادهم ودفاعهم وتضحياتهم.

لذا سنتناول في بحثنا دور المرجعية الدينية في تأصيل الهوية الوطنية العراقية ١٩١٤-٢٠١٤ وما لها من دور بارز لحفظ الهوية الوطنية العراقية وكونها كانت وماتزال تمثل الدعامة الاساسية في ادارة الازمات التي تمر بها الدولة العراقية والمجتمع العراقي منذ الاحتلال البريطاني ١٩١٤ الى الاحتلال الامريكي٢٠٠٣ التصدي للارهاب الداعشي.

كلمات مفتاحية: الهوية الوطنية، المرجعية الدينية، الاحتلال البريطاني، الاحتلال الأميركي.

The role of the religious authority in consolidating the Iraqi national identity 1914 - 2014

Prof.Sist. Dr. Ali Jassim Mohammed Al-Tamimi

Prof.Sist. Dr. Saad Ali Hussein Al-Tamimi

Abstract:

It is clear the role of the supreme religious authority in preserving, rooting and emphasizing national identity, especially in times of crisis and adversity. Over the course of a century, the supreme religious authority has played a prominent, effective and important role in emphasizing the national spirit and the national dimension among the Iraqi people, and this emerged clearly in 1914. When the Hawza, represented by the reference Sheikh Muhammad Taqi al-Shirazi (may his secret sanctify), confronted the British occupation and called for it to be confronted, fought and rid of by all Iraqis, regardless of their religious, ethnic and sectarian affiliations, and to stress the call of all the Iraqi people to stand up to Britain and expel it from Iraq, and this was for this matter, a fundamental and decisive role in the outbreak of the twentieth revolution against the British presence in Iraq.

This was repeated a century later when the supreme authority, Sayyid Ali al-Sistani (may his shadow lasted), issued a fatwa for sufficient jihad to all the Iraqi people without specifying a specific sect or doctrine to defend the land of Iraq, the Iraqi people, and the holy sites against the terrorist attack represented by the terrorist organization ISIS. And that blessed fatwa succeeded in preserving the unity of Iraq's land and people, and that fatwa had a decisive role in striking all the schemes that sought to undermine Iraq and dividing its identity into sub-identities that are easy to eliminate.

Thus, it becomes clear to us the reality of the real, important and effective role of the supreme religious authority over the ages in preserving and rooting the national identity, preserving national unity and eliminating division among the Iraqi people in order to get out of crises and dangerous situations in a positive and successful manner that preserves the country's existence and dignity.

المقدمة

ان للقيادة الروحية للشيعة والمتمثلة بالحوزة العلمية الشريفة وخاصة في النجف الاشرف دور بارز في ادارة الشؤون السياسية والاجتماعية للمجتمع من خلال مواقفها وفتاواها التي تخص فيها المجتمع الاسلامي بصورة عامة، وبعض الاحيان ما يتعلق بالمجتمع العراقي على وجه الخصوص لتعدل مساراته الاجتماعية والسياسية عند انحرافها وعندما يقتضي الامر تدخلها،فإنها تغير المسار وتصنع التاريخ من جديد كما فعلت الحوزة العلمية في عشرينات القرن الماضي وقيادتها لثورة العشرين التي يمثلها البعض بالثورة الفرنسية الاصلاحية والثورة الجزائرية وهي من اهم الثورات في المنطقة،وكانت بقيادة المرجع الشيخ محمد تقي الشيرازي (قدس سره) عام ١٩٢٠ والتي كان لها صداها في الساحة الاقليمية والدولية من خلال حكمة القيادة ووعي الجماهير، ولم تتكرر الا بفتوى الجهاد الكفائي للسيد السيستاني (دام ظله) عندما اجتاحت الجماعات الارهابية عددا من المدن العراقية عام ٢٠١٤ ولزم الامر تدخل الحوزة العلمية لإنقاذ العراق ولتوعية الامة بالخطر المحدق وتغيير البوصلة وافشال مخططات الاعداء.

لم يكن في العراق ابان قيام ثورة العشرين حكم وطني ملكي او جمهوري او اي شكل من اشكال الحكومات الوطنية، اذ كان العراق يرزح تحت مظلة الاحتلال العثماني وعندما دخلت القوات البريطانية للعراق ارادت اخراج القوات العثمانية وترسيخ الانتداب البريطاني على العراق واحتلاله، لذا اقتضت الضرورة تدخل الحوزة العلمية لقيادة المرحلة الجديدة التي خلت من القيادة واعلان الثورة العراقية ضد الانكليز والتي كان الهدف الاساسي منها هو الحصول على استقلال العراق

وتأسيس حكم وطني برئاسة امير او رئيس عراقي عربي مسلم، والتخلص من كل انواع الاحتلال سواء العثماني او البريطاني اذ كانت قيادة الثورة بيد رجال الدين الذين نشروا فكرة الجهاد وساهموا في الدعوة الى تبيان اهدافها من استقلال العراق وتحريره، وفعلا تشكلت جمعية دينية اسلامية في كربلاء والنجف وغيرها لمناصرة الثورة والدعوة لها ولأهدافها، فكما كانت هي لاتزال الحوزة العلمية لها الدور المحوري في حركة التحرير وترسيخ البعد الوطني للعراق.

لقد افرز ظهور الدولة الوطنية في المجال الاسلامي العديد من المفاهيم التي تباينت مواقف العلماء منها في مختلف التيارات وتفاعلت الشيعة مع هذه التطورات، وتصدت للدفاع عن الهوية الوطنية للفرد العراقي وتأكيد الانتماء للوطن ودور الشباب الشيعي في الحفاظ على الهوية الوطنية والدفاع عنها، وهذا ما اثبتته التجارب على مر التاريخ من ثورة العشرين الى الانتفاضة ضد الارهاب وخاصة في العام ٢٠١٤ وما تناولته فتوى الجهاد الكفائي للدفاع عن العراق وارضه دون النظر الى الهويات الفرعية والمناطقية للجماعات وانما كان العراق فقط في جهادهم ودفاعهم وتضحياتهم.

لذا سنتناول في بحثنا دور المرجعية الدينية في تأصيل الهوية الوطنية العراقية ١٩١٤-٢٠١٤ وما لها من دور بارز في حفظ الهوية الوطنية العراقية وكونها كانت وماتزال تمثل الدعامة الاساسية في ادارة الازمات التي تمر بها الدولة العراقية والمجتمع العراقي منذ الاحتلال البريطاني ١٩١٤ الى الاحتلال الامريكي٢٠٠٣ والتصدي للإرهاب الداعشي.

المحور الاول: المرجعية الدينية تعدد ادوار ووحدة هدف (من الشيرازي الى السيستاني ١٩١٤- ٢٠١٤)

يعد العراق ذات موقع استراتيجي حيوي للدول التي تريد السيطرة على منطقة الشرق الاوسط كما انه لما يملكه من معادن وثروات وانهار كان محط اطماع المستعمرين، فقد عانى من هيمنة الاستعمار البريطاني منذ بداية القرن العشرين والذي جاء بعد قرون من الهيمنة العثمانية والصراع مع بلاد فارس عليه،حتى حاول الانكليز بعد انتصارهم في الحرب العالمية الاولى وهزيمة وتفكك الامبراطورية العثمانية تكريس بقاءهم العسكري في العراق ومواصلة احتلال كامل الاراضي العراقية وعقد اتفاقيات طويلة الامد لشرعنة بقاءهم عبر معاهدة بورتسموث عام ١٩٤٨ التي حاول تمريرها صالح جبر(رئيس الوزراء آنذاك) وهب الشعب العراقي تحت القيادة الشيعية لمرجعية النجف الاشرف التي كان لها دور بارز وموقف واضح في بدايات الاحتلال البريطاني ١٩١٤ وفي ثورة العشرين ١٩٢٠.

نبذة عن حياة اية الله الشيخ محمد تقي الشيرازي

محمد تقي الشيرازي هو الميرزا محمد تقي بن محب علي بن ابي الحسن بن الميرزا محمد علي الحائري الشيرازي، ولد في مدينة شيراز في ايران عام ١٨٤٠ ينتسب الى اسرة ذات علم وادب فكان والده الميرزا محب علي من اهل الورع والدين درس في سامراء ثم عاد الى موطنه شيراز وتصدى فيها لشؤون التدريس والفتاوى الشرعية، اما ابناء الشيخ محمد تقي الشيرازي فهم ثلاثة اولاد، الاكبر فيهم الشيخ محمد رضا الشيرازي وهو اكبر ابناءه وساعده الايمن في تأجيج الثورة العراقية سنة ١٩٢٠ ضد الاحتلال البريطاني وكان صلة الوصول بين والده والعشائر العراقية الثائرة،

اما الشيخ عبد الحسين الشيرازي وهو الابن الاوسط للشيخ محمد تقي الشيرازي فقد كان عالما فاضلا من اعلام الحوزة العلمية في كربلاء وتوفي عام ١٩٦٢ ودفن في الصحن الحسيني الشريف مع والده، واما الشيخ محمد حسن الشيرازي وهو اصغر ابناءه فقد عمل قاضيا في محكمة التمييز العليا في طهران توفي عام ١٩٨٦ [١].

المرجعية الدينية ودورها في ثورة العشرين:

يمتد تاريخ الحوزة العلمية في النجف الاشرف الى ما يقارب الف سنة، فقد بدأ الدراسة فيها الشيخ ابو جعفر محمد بن الحسن الطوسي المتوفي سنة ٤٦٠ بعد ان اضطر للهجرة اليها من بغداد عام ٤٤٨، اثر الاضطهاد الذي تعرض له على ايدي السلاجقة، ومنذ ذلك التاريخ اضحت النجف حاضرة علمية تحتضن طلبة العلوم الاسلامية، وكان كثير من الوافدين اليها يستوطنون فيها والبعض الاخر يعود الى مواطنهم لممارسة التبليغ والدعوة والارشاد والعمل على تأسيس المدارس الدينية في مناطقهم، وشهدت الدراسة في النجف الاشرف حالات ازدهار وتقدم في مراحل تاريخية معينة كما تعرضت في مراحل اخرى لانحسار وضمور تبعا للتحولات السياسية والاجتماعية والثقافية والاقتصادية في العراق والمحيط الاقليمي للبلدان التي منها الطلبة الوافدين الى النجف، وبالمقابل كانت هناك الكثير من المدارس العلمية الدينية تضعف وتندثر كالحلة وحلب وجبل عامل واصفهان وكربلاء وسامراء وقم وشبه القارة الهندية واسيا الوسطى وغيرها[٢].

---

(١) ينظر: جواد الظاهر،ثورة العشرين ثورة الشعب العراقي الكبرى،الطبعة الاولى،بغداد ٢٠١٠ ص١٢.

(٢) ينظر: حسن الحكيم، معضلة التنباك او كلمة النجف الاشرف المناهضة للاستعمار، مجلة الهدى، السنة الثالثة، العدد التاسع بغداد ٢٠١٠ ص١٧٥.

ومنذ القرن التاسع عشر اصبحت حوزة النجف الحاضرة العلمية الاشهر والاوسع والاهم لاسيما بعد تبلور مؤسسة المرجعية وتدخلها المباشر في المنعطفات السياسية والاجتماعية في تاريخ العراق وايران مثل نهضة (المشروطية وصياغة دستور سنة ١٩٠٦)[١] في ايران ومقاومة الاستعمار البريطاني ١٩١٤- ١٩١٧ وثورة العشرين ١٩٢٠ في العراق[٢].

ففي الموقف ضد الاستعمار البريطاني للعراق والذي بدا في عام ١٩١٤، كان موقف المرجعية الدينية المتمثلة بسماحة الشيخ محمد تقي الحائري الشيرازي صلب وشديد وواضح في رفض الاحتلال والدعوة لمقاومة المحتل، وعندما حاولت السلطة البريطانية تعيين حاكم بريطاني للعراق يكون له مستشاروه من العراقيين اطلق سماحة الشيخ الشيرازي فتواه قائلا (ليس لاحد من المسلمين ان ينتخب او يختار غير المسلم لأمارة على المسلمين)[٣].

دور الحوزة العلمية في ثورة العشرين:

عندما دخلت الدولة العثمانية الحرب العالمية الاولى ضد الحلفاء اعلن الاخير الحرب عليها في ٢٩ تشرين الاول عام ١٩١٤ وللعلاقة الجيدة والمتميزة بين الانكليز وشيوخ الخليج العربي اصدر المقيم السياسي البريطاني في ٣١ تشرين الاول ١٩١٤

---

(١) الثورة الدستورية (المشروطة)سمي الايرانيون الحركة الدستورية عام ١٩٠٦ ب (المشروطة) وهي مأخوذة من الشرط على الملك بالدستور بدل عن عدم وجود شرط على حكمه. في عهد حكم العائلة القاجارية بعد تزايد الفساد والانحلال والنفوذ الاجنبي فيها كانت من اسباب الثورة عليها. انظر احمد مجيد عبد الله مصدر سبق ذكره ص١٩.

(٢) ينظر: المصدر نفسه ص١٧٩.

(٣) ينظر: جواد الظاهر،مصدر سابق ص٢١

بإيعاز من حكومته بيان الى شيوخ العرب والخليج العربي ورعاياهم، يشرح فيه ان الدولة العثمانية دخلت الحرب بتحريض من المانيا فسعت بذلك الى حتفها، ويظهر ان الامبراطورية العثمانية قد اخذت شمسها بالأفول ووعد الشيوخ العرب بحماية بريطانيا العظمى لهم على ان يحافظوا على الامن، ثم اصدر بيان اخر حول حماية الاماكن المقدسة في العراق، وأقتنع الشيوخ بهذه التطمينات ولم يصدر منهم خلال مدة الحرب العالمية الاولى اي موقف معادي لبريطانيا، واثبت الصداقة الرسمية بينهم وبين الانكليز وخصوصا مع الامراء مثل شيخ المحمرة وشيخ الكويت وامير نجد وال سعود، وفي ٦ تشرين الثاني ١٩١٤ نزلت القوات البريطانية القادمة من الهند الى شط العرب في البصرة بقيادة الجنرال (ديلامين) فاستولت على قلعة الفاو بحماية قصف المدفعية البحرية، وقد اصدر السيد(بيرسي كوكس) الذي كان يرافق الحملة العسكرية بيانا بعد وقت وصوله الى البصرة من نفس العام جاء فيه (ليكن معلوما للجميع

بان الحكومة البريطانية لا تخاصم السكان العرب المقيمين على ضفتي الشط وعليهم ان لا يتخوفوا من شيء لأننا سوف لا نتعرض لهم ولا لأموالهم اذا وقفوا منا موقفا وديا لا يؤازرون فيه الاتراك او يحملون السلاح علينا....الخ)[1].

من هذه الاحداث والاحتلال البريطاني للعراق الذي بدا من البصرة في عام ١٩١٤ كان هناك موقف واضح للمؤسسة الدينية في العراق المتمثلة في الحوزة العلمية في النجف الاشرف، اذ كان لها دور بارز وتدخل مباشر في المنعطفات

(١) ينظر: ريجارد كوك، بغداد مدينة السلام،ترجمة:-مصطفى الجوار وفؤاد جميل،بغداد ١٩٦٧ ص ١٨٩؛ احمد عبد الله الموسوي، الفقه السياسي الاسلامي المعاصر، رسالة ماجستير، غير منشورة، علوم سياسية، بغداد، ٢٠٠٧، ص ص ١٠ ١٩

السياسية والاجتماعية في العراق، وكان للمرجعية في النجف الاشرف موقف شديد وصلب وواضح لرفض الاحتلال والحث على المقاومة للمحتل، وعبر عن ذلك الشيخ محمد تقي الشيرازي ضاربا كل الاتفاقات التي تمت بين بريطانيا وشيوخ الخليج عرض الحائط اذ اطلق فتواه المعروفة عندما حاولت السلطة البريطانية ترسيخ احتلالها بأدوات تعيين الحاكم وغيرها كما ذكرنا سابقا[١].

وقد بدأت المقاومة تأخذ مسارها الصحيح منذ انتفاضة النجف الاشرف والتي اعلنتها المرجعية عام ١٩١٨، اذ شارك فيها كبار العلماء امثال ابو الحسن الاصفهاني وسماحة رجل الدين الخرساني ورفاقه واية الله الشيرازي (والميرزا محمد حسين النائيني)[٢] والمرجع الشيخ مهدي الخالصي وغيرهم الكثير، اذ شاركوا مشاركة واسعة وفاعلة في ثورة الشعب وخرجوا للجهاد آنذاك، وهذه الاجواء كانت محفزة للشعب العراقي من اجل الجهاد والمقاومة بكل اطيافه، وجاءت الدعوة من قبل الشيخ الشيرازي (والسيد ابو الحسن الاصفهاني)[٣] بعد عقد مؤتمر جماهيري في

---

(١) ينظر: محمد جابر ومحمد صلاح الاسود، الدور السياسي للمرجعية الشيعية في العراق،مجلة الهدى، السنة الثالثة، العدد التاسع سنة ٢٠١٢ ص١٤٤.

(٢) محمد حسين النائيني هو احد اهم العلماء المجددين ويعد مؤسس الفقه الاسلامي الحديث ويعتبر كتابه (تنبيه الامة وتنزيه الملة) اهم وثيقة سياسية فقهية اصلاحية في الفكر السياسي. وهو فقيه اصلاحي يعد صاحب مدرسة في علم الاصول برز سياسيا في النجف مطلع القرن العشرين وهو من كبار علماء الشيعة.احمد عبد الله مجيد مصدر سبق ذكره ص١٠

(٣) ابو الحسن الاصفهاني هو مرجع وفقيه شيعي تسلم المرجعية بعد وفاة المرجع محمد حسين النائيني١٩٣٦ صار من كبار مراجع الشيعة وقياداتهم الدينية والسياسية في العراق وايران عاصر الاحتلال البريطاني للعراق وكان له رئي ضده وله مواقف في ثورة العشرين وغيرها.انظر الرابط .ansaralhoja blogspot.com في ١٤ ايلول ٢٠٢٢.

كربلاء عام ١٩١٨ وتم ذلك من اجل حشد الطاقات لجهاد الانكليز، وحقق المؤتمر اهدافه الوطنية والسياسية والاعلامية مما اثار حفيظة الانكليز فتحركوا لأفشاله لكن لم يتمكنوا وعليه تم صياغة الميثاق الوطني الذي كان اهم مخرجات المؤتمر[١].

حوزة النجف والدور السياسي في العراق:

يمتد تاريخ الحوزة العلمية في النجف الاشرف ما يقارب الالف عام فقد دشن الدراسة فيها الشيخ محمد بن الحسن الطوسي كما ذكرنا اثر اضطهاده في بغداد من قبل السلاجقة، ومنذ ذلك التاريخ اضحت النجف قبلة لدارسي العلوم الدينية وعاصمة الطائفة الشيعية في العالم، اذ يقصدها طالبي العلم من كل بقاع العالم ينهلون من علومها ويرجعون الى اوطانهم لممارسة التبليغ والدعوة والارشاد، والعمل على تأسيس حلقات لتعليم الديني في المساجد، وكانت للنجف الاشرف على مرور التاريخ الدور البارز والموقف المؤثر في كل الاحداث الدينية منها والسياسية والاجتماعية وخاصة في العراق، لكن كان الموقف الاوضح هو قيادتها للجماهير والعشائر العراقية من اجل القيام بأبرز ثورة شهدها العراق في القرن العشرين ضد الاحتلال البريطاني ومواقف معارضة له منذ دخوله الاراضي العراقية عام ١٩١٤ وختمت بإعلان الثورة في عام ١٩٢٠ والمسماة بثورة العشرين، وكان رجال ثورة العشرين هم من اسسوا الدولة العراقية الحديثة، اولائك الرجال الذين تقدمهم رجالات الحوزة العلمية من مراجع وطلبة العلوم الدينية معلنين الثورة ضد الانكليز ووضعوا بنى الدولة العراقية في اهدافهم[٢]. وانطلقت شرارة

(١) ينظر: المصدر نفسه، ص١٤٣.

(٢) ينظر: سليم الحسني،دور الشيعة في مواجهة الاستعمار، دار النجف للنشر،مكتبة الآداب، ٢٠٠٤، ص ١٢٩

الثورة من مدينة الرميثة في محافظة المثنى في جنوب العراق والتحقت بها كل المدن الشيعية تباعا، ثم توسعت الثورة لتمتد من ديالى شرقا وزوبع غربا وتلعفر شمالا والناصرية والبصرة وميسان جنوبا والمدن المقدسة كربلاء والنجف، وكانت الكاظمية تمثل مصدر قرار الثورة فأوقعت الخسائر الكبيرة في صفوف المستعمرين الانكليز وقدم رجال الثورة الغالي والنفيس من ارواح واموال في سبيل استقلال العراق وعدم خضوعه للهيمنة الغربية المتمثلة بالاحتلال الانكليزي[١].

الاسباب التي ادت الى نجاح الثورة[٢]:

١. **العامل الديني**:- انتشرت دعوة الجهاد بين المسلمين في العراق لمحاربة المحتلين، تلك الدعوة او الفتوى التي تلاها الزعيم الديني الكبير سماحة الشيخ محمد تقي الشيرازي (قدس سره) وكانت المحفز والمشجع للعشائر العراقية للالتفاف حول مرجعتيهم في اي قرار تتخذه.
٢. نشاط وجهاء المدن ورؤساء العشائر ورجال الدين لنشر الافكار المطالبة بالاستقلال وتحرير العراق من الاحتلال، واقامة الفعاليات التي تدعوا الى ذلك اضافة الى التبليغ والارشاد الذي ما رسوه رجال الدين في المجتمع.
٣. نشاط بعض المثقفين والضباط الذين سبق لهم تولي الوظائف والمناصب في العهد العثماني وقد فقدوا وظائفهم ونفوذهم نتيجة الاحتلال فاخذوا يثقفون ضد الاحتلال.
٤. الوعي الديني والسياسي الذي كان يتمتع به المواطن العراقي والالتزام بأوامر ونواهي الحوزة العلمية في النجف الاشرف لعمق العلاقة ومصداقيتها التي تربط الفرد العراقي مع مرجعاته الدينية.

---

(١) ينظر: جواد الظاهر، مصدر سبق ذكره، ص ١١.

(٢) ينظر: المصدر نفسه ص ١٧٦.

وغير ذلك من الاسباب التي ساعدت في اتساع نطاق الثورة وكان لها مقبولية بين اطياف المجتمع العراقي.

الشيرازي - السيستاني مرجعية التصدي:

كانت الميزة البارزة لدى زعماء ورجال ثورة العشرين هي شجاعتهم وبسالتهم في المعارك رغم عدم التكافؤ بين طرفي الحرب بريطانيا العظمى التي حكمت العالم، ولها السيطرة على المحيطات والبحار ودول كبرى كانت ترزح تحت هيمنتها كالصين والهند وغيرها وتملك من العدد ما لا يحصى من مرتزقة تأتي بهم لمكافحة الثورات والعدة وما تملكه من سلاح متطور من مدفعية وبنادق حتى طائرات، اما الطرف الثاني فكان شباب الثورة الذين لا يملكون شيء من هذا وانما مسلحين بالعقيدة والايمان بالله والطاعة لمرجعياتهم الدينية وحبهم للمقدسات وبعض مما استولوا عليه من الاعداء من السلاح الخفيف والسلاح الابيض مثل الفالة وغيرها، ومع تصاعد الثورة التي اخذت تتخطى مناطق الجنوب العراقي لجأ الاحتلال البريطاني الى اسلوب المناورة لتقويض الثورة، فبادر بتقديم بعض التنازلات واعطاء العراقيين بعض المطالب الهامة داعيا اياهم بالتفاوض معها، لكن علماء الدين ردوا على تلك الدعوة بالرفض الحاسم لأي مفاوضات لا تتم على اساس استقلال العراق الموحد بكل ارضه، اذ عجز البريطانيون عن اخضاع الثوار الذي اجبروا الاحتلال على الدخول في مفاوضات معهم ورفضوا مطالبهم حتى انهم قاموا بإعطائهم للثوار ثمن البنادق التي طلبوها كجزء من شروط التفاوض[١].

(١) ينظر: محمود جابر، قراءة في ترجمة سماحة السيد ابو الحسن الاصفهاني،بحث مقدم بالاحتفال بذكرى سماحته في اصفهان،٢٠٠٨.

ورغم ان الثورة لم تحقق الهدف المنشود وهو استقلال العراق وطرد المحتلين، لكن سجل فيها علماء الشيعة ورجالات الحوزة العلمية في النجف وكربلاء والكاظمية اجمل المواقف التي سجلت لهذه المؤسسة العريقة والتي كانت الاساس الذي استندت عليه مواقف المراجع من التدخلات الخارجية، واهمها دور المرجعية الدينية وموقفها من الاحتلال الامريكي عام ٢٠٠٣ الذي اعتمد على نفس الادوات التي جاء بها الاحتلال البريطاني، وكما تصدت المؤسسة الدينية للاحتلال البريطاني عام ١٩١٤ وقادت الثورة عام ١٩٢٠ كذلك تكرر الحال، وكان الموقف المشرف للمؤسسة الدينية في عام ٢٠٠٣ في رفضها التعامل والتعاون مع قوات الاحتلال الامريكي وفرضت علية اجراء انتخابات عراقية نزيهة وكتابة دستور بأيدي عراقية ولا ننسى موقفها من الارهاب الداعشي عام ٢٠١٤ وفتوى الجهاد الكفائي.

ادرك السيد السيستاني (دام عزه) ان احتلال العراق عام ٢٠٠٣ ليس الا مقدمة لاحتلال طويل الامد فسعى منذ البداية نحو امرين هامين واعتقد انهما ساهما في استقرار العراق، ويعتبر من ضمن المقاومة لذلك الاحتلال.

الاول: هو منع الشيعة والسنة من الثأر من عناصر كانت تحكم العراق وتعذب ابنائه قبل ٢٠٠٣ لأنه يعلم ان الثأر لا يجلب الا الثأر والمتضرر الوحيد هو الشعب العراقي لذا اصدر توجيهاته لحث العراقيين على عدم اللجوء الى اعمال ثأرية ضد عناصر النظام السابق.

ثانيا: مقاومته للاحتلال منذ البداية وهي مقاومة سلمية من خلال رفض اية مقابلة مع الجانب الامريكي رغم الحاح الحاكم المدني آنذاك بول بريمر على مقابلته مرارا لكن السيد السيستاني رفض مقابلته او لقاءه مع من يمثل الجانب المحتل

بصورة مباشرة او غير مباشرة، وعندما اراد بريمر نقل السلطة للعراقيين عام ٢٠٠٤ اصر السيد السيستاني على ضرورة اجراء انتخابات عامة في العراق قبل انتقال السلطة في حين ان مجلس الحكم عارض ذلك متعذرا بصعوبة اجراء انتخابات آنذاك، كما افتى السيد السيستاني بحرمة استخدام الممتلكات العامة للدولة وحرمة سرقتها وضرورة تسليم المسروق منها الى الجهات المستفيدة والمعنية في ارجاعها الى الدولة، فكان السيد يدرأ في ذلك فتنة ويحاول ابعاد المجتمع العراقي من شبح فتنة لا تبقي له باقية[١].

وسوف نبين بشكل اكثر تفصيل عن دور المرجعية الدينية في احداث ما بعد ٢٠٠٣ في المحور الثاني.

المحور الثاني: دور المرجعية الدينية في الحفاظ على الهوية الوطنية بعد عام ٢٠٠٣

برز دور المرجعية الدينية العليا والمتمثلة بالمرجع الاعلى السيد علي السيستاني، بعد احداث ٢٠٠٣ وما خلفته من تفكك في بنية الدولة العراقية على المستوى السياسي والاقتصادي والاجتماعي والامني، وفي ظل هيمنة امريكية عملت على إدارة العملية السياسية في العراق وبناء نظام حكم جديد، وبالرغم من كون المرجعية لا تمتلك قوة تنفيذية كونها فاعلا غير رسمي، الا انها ادت دورا مؤثرا في مراحل بناء الدولة العراقية الجديدة، وكانت لها مواقف سياسية واضحة بدءا من رفض الاحتلال الامريكي للعراق مرورا بالدعوة الى كتابة الدستور بأيادي عراقية وعرضه على الشعب العراقي من اجل الموافقة عليه او رفضه، والدعوة

(١) ينظر: علي ابو الخير، دور سماحة السيد علي السيستاني في واد الفتنة الطائفية في العراق، مجلة الهدى، مركز الهدى للدراسات الحوزوية،العدد ٩، العراق، النجف الاشرف،٢٠١٢،ص ١٢٤.

الى انتخابات عامة ينتخب فيها المواطنون من يمثلهم بتنوعاتهم لانتخاب حكومة وطنية تمثل الجميع، وصِولا الى التأكيد على اهمية تعزيز الوحدة الوطنية والابتعاد عن الإحتراب الداخلي وحرمة الدم العراقي، والعمل على المشتركات التي تسهم في تعزيز التعايش السلمي بين فئات المجتمع العراقي القائم على الاحترام للقيم الدينية او الطائفية والابتعاد عن التعصب والعنف الذي يؤدي الى عدم استقرار المجتمع، ولعل الدور الابرز الذي قامت به المرجعية الرشيدة يتمثل في اصدار فتوى الجاد الكفائي اثر سيطرة تنظيم داعش الارهابي لعدد من المدن العراقية وتهديده للسلم المجتمعي والوحدة الوطنية والتعايش السلمي عام ٢٠١٤، فقد مارست القيم التي تضمنتها الفتوى المباركة والمتمثلة بقيم التضحية والأخوة بين العراقيين وتحرير الأراضي العراقية من سيطرة تنظيم داعش الإرهابي دورا فاعلا في تحشيد العراقيين للدفاع عن ارضهم وتحريرها من خلال ألاف المتطوعين الذين شاركوا بالقتال ضد التنظيم، وهو ما ساهم في هزيمة ودحر تنظيم داعش وطرده وابراز الروح الوطنية للعراقيين وتعزيز انتمائهم الوطني وهويتهم الوطنية، وسنستعرض دور المرجعية الدينية الرشيدة في الحفاظ على الهوية الوطنية العراقية من خلال رفض الاحتلال الامريكي ومحاربة الفتنة الطائفية والارهاب الداعشي كما في ادناه.

موقف المرجعية الدينية العليا من الاحتلال الامريكي:

كان موقف المرجعية الدينية العليا من الاحتلال الامريكي للعراق عام ٢٠٠٣ موقفا واضحا وصريحا وحازما، إذ اكد سماحة اية الله العظمى السيد علي السيستاني سيادة العراق وان يكون الحكم للعراقيين بلا اي تسلط للأجنبي لأن العراقيين هم

الذين لهم الحق في اختيار نوع النظام في العراق بلا تدخل للأجانب، كما اكد سماحته على ضرورة استحصال قرار واضح من مجلس الامن باستعادة العراقيين لسيادتهم على بلدهم بشكل كامل وغير منقوص (اي في مختلف الجوانب السياسية والاقتصادية والعسكرية والامنية)، كما اكد على السعي لإزالة اثار الاحتلال من جوانبه كافة[١].

واكدت المرجعية الرشيدة على اهمية دور الامم المتحدة المحوري في المرحلة الانتقالية لإرساء الامن والاستقرار خصوصا وان جهودها كانت ضرورية للأشراف ومتابعة الخطوات الضرورية واللازمة لتمكين العراقيين من استرجاع السيادة لبلدهم، وقابل ذلك الرفض القاطع للقاء ممثلي الاحتلال الامريكي بكل رموزه العسكرية والمدنية، وهو ما دفع الحاكم المدني آنذاك بول بريمر الى الاعتراف بالسلطة غير الرسمية للسيد علي السيستاني الذي رفض التحدث الى الولايات المتحدة بوصفها سلطة محتلة مما دفع الولايات المتحدة الامريكية الى اللجوء للأمم المتحدة ليكون لها دور مهم في الوساطة، ورغم معارضة السيد السيستاني لخطة سلطة الاحتلال الامريكي الخاصة بنقل السلطة للعراقيين الا انه لم يذهب الى الدعوة لمواجهة الامريكيين بالسلاح وكان هذا النهج فاعلا لأنه سمح بالتوصل الى صيغة بديلة وهي اقامة انتخابات مبكرة ونقل السلطة الى حكومة انتقالية بدون الذهاب الى المواجهة المسلحة، وأسهم تأكيد السيد السيستاني على دور الامم المتحدة وتحميلها للمسؤولية في الاشراف على العملية السياسية وتهيئة الاوضاع اللازمة لإجراء الانتخابات العامة وكتابة الدستور[٢].

---

(١) ينظر: سهى منعم جيجان، تأثير الفواعل غير الرسمية في السياسة الخارجية العراقية بعد عام ٢٠٠٣ المرجعية الدينية العليا دراسة حالة، رسالة ماجستير، جامعة بغداد كلية العلوم السياسية، ٢٠٢١، ص٨٤.

(٢) ينظر: المصدر نفسه، ص٨٥.

دور المرجعية الدينية العليا في محاربة الفتنة الطائفية:

اصدرت المرجعية الرشيدة العديد من التوجيهات والبيانات بخصوص الفتنة الطائفية التي اجتاحت العراق بعد الاحتلال الامريكي، وكانت تلك الاحداث تمثل خطورة لا يستهان بها، اذ لم يمر البلد بمثل تلك الاحداث فيما سبق فهددت كيانه وضربت عمق الصلة الاجتماعية بين ابناء الشعب، وفتحت الباب امام الاعداء لبث سمومهم ومخططاتهم لضرب الوحدة الوطنية والهوية الوطنية العراقية، الا ان المرجعية كانت واعية ومدركة لتلك المخاطر وعملت على دعم وتمثيل النهج الصحيح والتثقيف على ترك التعصب والعنصرة المؤدي الى الاحتراب الطائفي، فعندما تعرضت الكنائس في بغداد والموصل الى اعتداءات ارهابية راح ضحيتها المئات من الضحايا الابرياء، دافعت المرجعية دفاعا واضحا عن مقدسات المسيحيين والتي تعتبر خارج الاطار المذهبي والنظر اليها بسمتين الاولى وهي انسانية والثانية وهي الوطنية، واكد خطاب المرجعية في هذا الجانب على شجب وادانة تلك الجرائم وضرورة تظافر الجهود في سبيل وضع حد للاعتداء على العراقيين وقطع دابر المعتدين، كما اكد على وجوب احترام حقوق المواطنين المسيحيين وغيرهم من الاقليات الدينية ومنها حقهم في العيش في وطنهم العراق بأمن وسلام، وحين بدأت فتنة الارهاب والتكفير الطائفي في العراق من قبل التنظيمات الارهابية ضد الشيعة في العراق واستهدافه لشخصياتهم ومناسباتهم الدينية وتوالت الاغتيالات، رفض السيد السيستاني توجيه الاتهام الى اي جهة مذهبية والتأكيد على الوعي والحذر من الفئات المعادية للعراق والمذاهب لأن هدفها الاساس ايقاع الفتنة بين اطياف وفئات الشعب العراقي[1].

(١) ينظر: د. باسل محسن مهنا، دور المرجعية في تعزيز الوحدة الوطنية السيد السيستاني نموذجا، مجلة دراسات مركز الكوفة، العدد ٦٣، ٢٠٢١، ص ص(٦٢-٦٣).

وكانت نظرة المرجعية بشأن محاربة الفتنة الطائفية شاملة ولم تقتصر على جانب واحد او جهة واحدة فقد شملت المسلمين وغير المسلمين، كما اكدت على التعايش السلمي بين ابناء الشعب العراقي بمختلف اطيافه، ويكفي ان نشير في هذا الصدد الى موقف المرجعية من العوائل التي نزحت من مناطق الارهاب، فقد اكدت في خطبها على ذلك الامر من خلال الاشارة الى أنّ عشرات الآلاف من المواطنين من التركمان والشبك والمسيحيين والأقليّات الأخرى يعيشون ظروفًا قاسيةً بسبب التّهجير والنّزوح عن مناطق سكناهم بعد سيطرة الارهابيّين على مدنهم وقراهم في محافظة نينوى وغيرها، وأنّ الجهود المبذولة في رعايتهم والتخفيف من معاناتهم لا تزال دون المستوى المطلوب، وان الحكومة الاتحاديّة تتحمّل مسؤوليّة كبيرة تجاه هؤلاء المهجّرين والنّازحين، كما أنّ حكومة إقليم كردستان والمنظّمات الدّوليّة يقع على عاتقها بذل المزيد من الاهتمام بهم، وإنّ هؤلاءِ المواطنين يجب أنْ تتوفّر لهم فرصة العودة إلى مناطق سُكْناهم بعد استتباب الأمن والسّلام فيها ولا يجوز أنْ يكون تهجيرهم ونزوحهم عنها مدخلًا لأيّ تغييرات ديموغرافية في تلك المناطق[1]، وهذا هو الخطاب الإنسانيّ الذي يهتمّ بجميع المكوّنات، ويعتزّ كلّ الاعتزاز بالأقليّات ولا يهمّش أيّ طرفٍ مهما كانَ وأنّى كانَ، يرفض الظلم بجميع أشكاله. بل ثمّة مطالبة لأجل تلك الطوائف، تلك المطالبة شملت الحكومة المركزية وحكومة كردستان كذلك ومطالبات المنظمات الإنسانيّة في تسخير

(١) ينظر: د. عباس اسماعيل الغراوي، المرجعية الدينية واثرها في التعايش السيد السيستاني نموذجا، مؤسسة الهدى للدراسات الاستراتيجية، تاريخ النشر ٢٠١٩/ ١/ ٢ على الرابط الاتي:

www.alhudamissan.com/index.php/2013-5404/11-25-21-05-03-2013/16-25-21-05-56-45-24-01-2019.html

جهودها الإنسانيّة للمنكوبين والمتضرّرين، وما ذلك إلّا لأجل تسخير كلّ الجهود لأجل العراق.

دور المرجعية في تأصيل الهوية الوطنية:

اتسم خطاب المرجعية الدينية العليا منذ عام ٢٠٠٣ بكونه خطابا انسانيا ووطنيا اكد على بناء المواطنة الصالحة والرؤية المعاصرة الدقيقة لبناء الفكر الاجتماعي، وما يدلل على ذلك استخدام المرجعية للخطاب الحكيم المبني على النهج الانساني والوطني، اذ استخدمت مفردات (العراق، الشعب، المواطن، المجتمع) وهو ما يدلل على حرص مرجعية السيد السيستاني على الخطاب الوطني والروح الابوية، وتوضح احصائية انه خلال المدة ما بين عامي (٢٠٠٥-٢٠١٧) تضمن خطاب المرجعية الاشارة الى كلمة شعبنا (٢٧٤٦) مرة وكلمة المواطن (٣٢٥٩) مرة وكلمة مجتمعنا (١٩٧٨) مرة وكلمة العراقيين (٥٣٠٤) مرة، وهو ما يوضح البعد الوطني في خطاب المرجعية وتأكيده على الهوية الوطنية العراقية[١].

ويكفي ان نشير في هذا الصدد الى دور المرجعية في الحفاظ على وحدة العراق ارضا وشعبا وتعزيز الهوية الوطنية العراقية من خلال التصدي ومواجهة الارهاب الداعشي الذي اخذ يمتد شيئا فشيئا، إذ اجتاحت عصابات داعش الارهابية مدينة الموصل وسيطرت عليها في ٩ حزيران ٢٠١٤، واستطاعت خلال ايام معدودة من تهجير وقتل الالاف من ابناء الاقليات الدينية الايزيدية والمسيحية، وتوجهت نحو مدن صلاح الدين وكركوك وديالى، وبعد ثلاثة ايام فقط من سقوط الموصل بيد داعش، اصدرت المرجعية الدينية العليا في النجف الاشرف فتوى الجهاد الكفائي

(١) ينظر: د. باسل محسن مهنا، مصدر سبق ذكره، ص٦١.

في ١٣ حزيران ٢٠١٤، والتي كانت موجهة الى كل من هو قادر على حمل السلاح للدفاع عن الارض والوطن والشعب والمقدسات كواجب كفائي (اي الاكتفاء بعدد يحقق الغرض المطلوب وهو حفظ البلاد وشعبه ومقدساته)، ولم تكن تلك الفتوى المباركة موجهة لطائفة دون اخرى بل الى العراقيين جميعا، وكانت الاستجابة سريعة جدا اذ استجاب حوالي مليونين ونصف المليون متطوع، ومثل ذلك صدمة لداعش والولايات المتحدة الامريكية[١].

واكدت المرجعية على جملة من المبادئ والاسس في مواجهة تنظيم داعش الارهابي وهي كالاتي[٢]:

١- ان العراق وشعبه يواجهان تحديا كبيرا وخطرا عظيما وان الارهابيين لا يستهدفون بعض المحافظات مثل نينوى وصلاح الدين فقط بل صرحوا انهم يستهدفون جميع المحافظات ويستهدفون جميع العراقيين ومن هنا فان مسؤولية محاربتهم والتصدي لهم هي مسؤولية الجميع.

٢- ان التحدي وان كان كبيرا الا ان الشعب العراقي الذي عرف عنه الشجاعة والاقدام وتحمل المسؤولية الوطنية والشرعية في الظروف الصعبة اكبر من هذه التحديات والمخاطر، فان المسؤولية في الوقت الحاضر هي حفظ العراق ومقدساته من هذه المخاطر، وهو ما يتطلب المزيد من العطاء والتضحيات في سبيل الحفاظ على وحدة الوطن وكرامته وصيانة مقدساته.

---

(١) ينظر: سهى منعم جيجان، مصدر سبق ذكره، ص٩٣.

(٢) ينظر: د. فراس عبد الكريم محمد علي، دور المرجعية في حفظ وترشيد العملية السياسية في العراق بعد عام ٢٠٠٣، مجلة قضايا سياسية، كلية العلوم السياسية جامعة النهرين، العدد ٦٢، ٢٠٢٠، ص١٥٧.

٣- ان القيادات السياسية في العراق امام مسؤولية وطنية وشرعية كبيرة وهذا يقتضي ترك الاختلافات والتناحر خلال تلك الفترة العصيبة وتوحيد كلمتها واسنادها ودعمها للقوات المسلحة ليكون ذلك قوة اضافية لأبناء الجيش العراقي في الصمود والثبات.

٤- ان دفاع ابناء الجيش العراقي وسائر الاجهزة الامنية هو دفاع مقدس ويتأكد ذلك من خلال معرفة ان منهج الارهابيين المعتدين هو منهج ظلامي بعيد عن روح الاسلام، ويرفض التعايش مع الاخر بسلام ويعتمد سفك الدماء واثارة الاحتراب الطائفي كوسيلة لبسط نفوذه وهيمنته على مختلف المناطق في العراق ودول اخرى.

وكان للفتوى المباركة التي اطلقتها المرجعية ابعاد غاية في الاهمية تمثلت في حث الشباب الواعي على الولاء للوطن والعقيدة الاسلامية والدفاع والحفاظ عليهما، ومحاربة الغلو والتطرف بكل اشكاله وايراد النصوص القرآنية المحذرة منه، ونشر الوسطية والاعتدال عقيدة ومنهجا وسلوكا في الحياة، وان مسؤولية التصدي للعصابات الارهابية هي مسؤولية جماعية ولا تخص طائفة دون اخرى، ولذلك مثلت فتوى المرجعية اعادة للروح الوطنية الى القوات الامنية والجيش العراقية وبثا للروح الوطنية لدى ابناء الشعب العراقي كافة للدفاع عن ارضهم وشعبهم ومقدساتهم، وهنا يمكن القول ان الجهاد الكفائي الذي اعلنته مرجعية السيد السيستاني ضد تنظيم داعش الارهابي كان له الاثر الاكبر والحاسم في الحيلولة دون تقسيم العراق ومنع داعش من التسلط على البلاد والعباد، ولعل من اهم نتائج فتوى الجهاد الكفائي انها خاطبت العراقيين جميعا بجميع طوائفهم وقومياتهم، وهو ما يعني ان المرجعية في فتوى الجهاد خاطبت المواطنين وليس المؤمنين او

الشيعة فقط، كما انها دعت الى الانخراط في صفوف القوات الامنية حصرا، ومثل البعد الوطني الوحدوي المجال الابرز في مفردات فتوى الجهاد الكفائي[١].

وأدركت المرجعية الدينية العليا ضرورة كبح تنظيم داعش الارهابي وبسرعة والا فانه سوف يستمر في التمدد ومن ثم تصبح مسألة المعالجة معقدة، لا سيما وان اهدافه وتطلعاته كانت دائما تتمثل بالتبجح بالإعلان عن السيطرة على كل البلاد، لذلك فان الشعب العراقي وفقا للمرجعية هو الاولى في الدفاع عن بلده من الاخرين، وخطأ التعويل على القوة الخارجية بما تطرحه من شعارات وادعاءات ولا سيما ان بعض الجهات الخارجية ربما تكون غير صادقة في نواياها لمحاربة الارهاب، وعليه كان لا بد من التأكيد على البعد الوطني وتفعيل وتعزيز الهوية الوطنية والروح الوطنية واستنهاض الهمم من اجل محاربة الارهاب والارهابيين والحفاظ على الارض والعرض والمقدسات وهو ما حصل تنفيذا لفتوى الجهاد المباركة[٢].

ولم تقتصر فتوى المرجعية المباركة على البعد الوطني الوحدوي وانما تعدته الى البعد الانساني، اذ لم يكتفي المرجع السيد السيستاني بفتواه في الجهاد الكفائي لمواجهة تنظيم داعش بالبعد العسكري والامني، بل عمل على مسارات اخرى مكملة للفتوى المباركة واهم تلك المسارات البعد الانساني، فقد عمل السيد السيستاني على ايلاء موضوع النازحين اهتماما خاصا ومباشرا من حيث توفير

---

(١) ينظر: د. سعد عبدالحسين نعمة، المرجعية الدينية وبناء الوحدة الوطنية في العراق بعد عام ٢٠٠٣ (دراسة في مواقف وفتوى سماحة السيد السيستاني)، مجلة مركز دراسا الكوفة، العدد ٦٣، ٢٠٢١، ٢٤٥. ايضا د. فراس عبدالكريم محمد علي، مصدر سبق ذكره، ص١٥٨.

(٢) ينظر: د. سعد عبد الحسين نعمة، مصدر سابق، ٢٤٧.

الامكانات المادية والمعنوية وحشد المخلصين من الهيئات والمنظمات والعشائر والمؤسسات الحوزوية لتقديم جميع الامكانات لأهالي المناطق التي تعرضت للقتال والنزوح، فقد كانت المأساة الانسانية اكبر من كل شيء ولذلك لم تترك المرجعية البعد الانساني للمدنيين من العوائل والاطفال، ومارست كل انواع الضغط والمناشدة والتحريض على تقديم المساعدات الضرورية كي لا تحدث انتكاسة انسانية وهو ما اكدته خطب المرجعية مرارا وتكرارا[١].

ويمكن القول ان فتوى الجهاد المباركة لم تكن فتوى عسكرية فحسب هدفها مسؤولية الدفاع عن الوطن، وانما اسهمت بشكل كبير في حفظ السلم الاهلي ووحدة المجتمع العراقي على اختلاف مكوناته الدينية والمذهبية والعرقية والقومية، وحفزت العراقيين على حماية بعضهم البعض والدفاع عن بعضهم البعض وحماية الاقليات الموجودة على ارض العراق، وهنا يبرز الدور الحقيقي والفعلي للمرجعية الدينية العليا في تأصيل الهوية الوطنية العراقية.

(١) ينظر: د. فراس عبد الكريم محمد علي، مصدر سابق، ص١٥٨.

الخاتمة:

مما تقدم يتضح دور المرجعية الدينية العليا في الحفاظ على الهوية الوطنية وتأصيلها والتأكيد عليها خصوصا اوقات الازمات والشدائد، فعلى مدار قرن من الزمان مارست المرجعية الدينية العليا دورا بارزا وفاعلا ومهما في تأكيد الروح الوطنية والبعد الوطني لدى ابناء الشعب العراقي، وبرز ذلك بشكل واضح وجلي عام ١٩١٤ عندما تصدت المرجعية ممثلة بالمرجع الشيخ محمد تقي الشيرازي (قدس سره) للاحتلال البريطاني ودعت الى مواجهته ومحاربته والتخلص منه من قبل العراقيين كافة بغض النظر عن انتماءاتهم الدينية والعرقية والمذهبية، والتأكيد على دعوة ابناء الشعب العراقي كافة للوقوف بوجه بريطانيا واخراجها من العراق، وكان لهذ الامر دور اساس وحاسم في اندلاع ثورة العشرين ضد الوجود البريطاني في العراق.

وقد تكرر هذا الامر بعد قرن من الزمان عندما اطلق المرجع الاعلى السيد على السيستاني (دام ظله) فتوى الجهاد الكفائي الى ابناء الشعب العراقي كافة دون تحديد لطائفة معينة او مذهب معين للدفاع عن ارض العراق وعن الشعب العراقي وعن المقدسات ضد الهجمة الارهابية الممثلة بتنظيم داعش الارهابي، ونجحت تلك الفتوى المباركة في الحفاظ على وحدة العراق ارضا وشعبا، وكان لتلك الفتوى دور حاسم في ضرب كافة المخططات التي سعت للنيل من العراق وتقسيم هويته الى هويات فرعية يسهل القضاء عليها.

وبذلك يتضح لنا حقيقة الدور الحقيقي والمهم والفاعل للمرجعية الدينية العليا على مر الازمان في الحفاظ على الهوية الوطنية وتأصيلها، والحفاظ على

الوحدة الوطنية والقضاء على الفرقة بين ابناء الشعب العراقي من اجل الخروج من الازمات والاوضاع الخطرة بشكل ايجابي وناجح يحفظ للبلد وجوده وكرامته.

قائمة المصادر:

اولاً: الكتب العربية

١-جواد الظاهر، ثورة العشرين ثورة الشعب العراقي الكبرى، الطبعة الاولى، بغداد، ٢٠١٠.

٢-سليم الحسني، دور الشيعة في مواجهة الاستعمار، دار النجف للنشر، مكتبة الآداب،٢٠٠٤.

ثانياً: الكتب المعربة

١-ريجارد كوك، بغداد مدينة السلام، ترجمة: مصطفى الجوار وفؤاد جميل، بغداد ١٩٦٧.

ثالثاً: الرسائل والاطاريح

١-احمد عبد الله الموسوي، الفقه السياسي الاسلامي المعاصر، رسالة ماجستير، غير منشورة، علوم سياسية، بغداد، ٢٠٠٧.

٢-سهى منعم جيجان، تأثير الفواعل غير الرسمية في السياسة الخارجية العراقية بعد عام ٢٠٠٣ المرجعية الدينية العليا دراسة حالة، رسالة ماجستير، جامعة بغداد كلية العلوم السياسية، ٢٠٢١.

رابعاً: المجلات

١-حسن الحكيم، معضلة التنباك او كلمة النجف الاشرف المناهضة للاستعمار، مجلة الهدى، السنة الثالثة، العدد التاسع بغداد ٢٠١٠.

٢-محمد جابر ومحمد صلاح الاسود، الدور السياسي للمرجعية الشيعية في العراق،

مجلة الهدى، السنة الثالثة، العدد التاسع، ٢٠١٢.
٣-محمود جابر، قراءة في ترجمة سماحة السيد ابو الحسن الاصفهاني، بحث مقدم بالاحتفال بذكرى سماحته في اصفهان،٢٠٠٨.
٤-علي ابو الخير، دور سماحة السيد علي السيستاني في واد الفتنة الطائفية في العراق، مجلة الهدى، مركز الهدى للدراسات الحوزوية، العدد ٩، العراق، النجف الاشرف،٢٠١٢.
٥-د. باسل محسن مهنا، دور المرجعية في تعزيز الوحدة الوطنية السيد السيستاني نموذجا، مجلة دراسات مركز الكوفة، العدد ٦٣، ٢٠٢١.
٦- فراس عبد الكريم محمد علي، دور المرجعية في حفظ وترشيد العملية السياسية في العراق بعد عام ٢٠٠٣، مجلة قضايا سياسية، كلية العلوم السياسية جامعة النهرين، العدد ٦٢، ٢٠٢٠.
٧-سعد عبد الحسين نعمة، المرجعية الدينية وبناء الوحدة الوطنية في العراق بعد عام ٢٠٠٣ (دراسة في مواقف وفتوى سماحة السيد السيستاني)، مجلة مركز دراسا الكوفة، العدد ٦٣.

خامساً: الانترنت

١-د. عباس اسماعيل الغراوي، المرجعية الدينية وأثرها في التعايش السيد السيستاني نموذجا، مؤسسة الهدى للدراسات الاستراتيجية، تاريخ النشر ٢٠١٩/ ١/ ٢ على الرابط الاتي:
www.alhudamissan.com/index.php/2013-25-21-05-03-2013/16-25-21-05-56-45-24-01-2019-5404/11.html.